صعوبات إعداد البحث العلمي في الطّور الثالث دكتوراه (ل م د)

- طلبة اللّغة والأدب العربي-

الطالبة: دنيا شيهب
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر – بسكرة

ملخص المداخلة:

تعدّ الدّراسة الجامعية من أهم المراحل الدّراسية في حياة الطالب، فهي تمثل عصارة جهوده طيلة سنوات وتحدد مستقبله، لأنّ جُلّ خريجي الجامعات والكليات يتوِجون مرحلتهم الدّراسيّة هذه بالبحوث العلميّة ومشاريع التّخرج الّتي تقوم على مجموعة من الخطوات المدروسة والمنظمة؛ فتبدأ بفكرة وتنتهي بعدد من النتائج التي تدعم تلك الفكرة وتضيف الكثير إلى ميدان العلم والمعرفة وتكون قادرة على خدمة المجتمعات الإنسانيّة، وخلال تلك الخطوات يواجه الباحث العديد من الصعوبات والمشاكل والعقبات التي من شأنها أن تؤثر على طريقة إعداد البحث وعلى دقة وصحة معلوماته.

وفي ضوء الحديث السالف الذكر جاءت هذه المداخلة لتكشف عن أهم الصّعوبات التي تواجه الباحث العلمي الجامعي أثناء إنجازه لبحثه العلمي خاصة الباحث في الطور الثالث دكتوراه(ل م د) بمجال اللّغة والأدب العربي، سواء كانت هذه الصعوبات تتعلق بالجوانب المنهجية أو تتعلق بتضارب المعلومات وطرق الحصول عليها، أو صعوبات إدارية ومادية وغيرها، وصولا إلى تقديم حلول ملائمة تساعد في تفعيل وتنشيط حركة البحث العلمي والتخفيف من عبء المسؤولية الملقاة على عاتق الباحث.

وعلى هذا الأساس جاءت الدراسة وفق أربع محاور:

1- مفهوم البحث العلمي.
2- صعوبات البحث العلمي فيّ الطّور الثالث دكتوراه(ل م د) بمجال اللّغة والأدب العربيّ.
3- الحلول المقترحة لمواجهة هذه الصعوبات.

1- مفهوم البحث العلمي:

كثيرا وأثناء دراساتنا ما يُطلب منا إعداد بحث يندرج تحت موضوع البحث العلمي، كما تتعدد الأبحاث التي نقرأها وتتفاوت مستوياتها، ومعظمها يندرج تحت مسمى البحث العلمي رغم فقدانه للكثير من شروط البحث العلمي الصحيح لوجود خلل في عنصر من عناصر البحث، فيكون عبارة عن مجموعة معلومات مرصوصة في ورق، تفي غرضها كبحث جامعي أو بحث مدرسي أو مؤسساتي فقط، فما هو البحث العلمي إذا؟

تشير كلمة البحث في معناها البسيط المتداول إلى اكتشاف ماهية الشيء والتعرف إليه؛ وللوصول إلى المفهوم الحقيقي له، لا بد من التعريف به ليكون المعنى واضحا بصورة جلية، وفيما يلي عرض لبعض التعريفات الخاصة بالبحث:

- جاء في لسان العرب:" البحث: طلبك الشيء في التراب. والبحث: أن تسأل عن شيء وتستخبر، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا سأل، وكذلك استبحثه واستبحث عنه" [1]

- جاء في المعجم الوسيط:" البحث: هو بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به"[2]

- البحث:" فهو مصدر الفعل الماضي بحث بمعنى فتش، تقصى، تتبع، تحرى، حاول الكشف، أما لغة: فمعناه الطلب والتقصي للحقيقة. والعلم: يعني الإحاطة والإلمام بالحقائق وكل ما يتصل بها"[3]

وبوقوفنا بإنعام على هذه اللفظة، نجد أنّها تحمل معنيين، الأول هو طلب الشيء والتفتيش عنه والتنقيب عن وجوده من عدمه، والآخر السؤال عن الشيء، والاستفسار عن ماهيته[4]، أما كلمة علمي فهي منسوبة إلى لفظة علم وتعني المعرفة، وإدراك الحقائق.

وأمّا في المعنى الاصطلاحي للبحث العلمي فقد تعددت تعريفاته، إلا أنه رغم تنوعها فإنّها تكاد كلها تصب في قالب واحد، وللوصول إلى المفهوم الحقيقي له، لا بدّ من عرض بعض التعريفات الخاصة به:

- عرّفه الصبّاب بأنّه:" الوسيلة للوصول إلى تطوير المعرفة بطريقة منتظمة، وطريقة إيجاد حلول لمشكلات التغيير في مختلف النواحي لكي يسير المجتمع في سبيل التقدم ويحقق ما يصبو إليه"[5]

- وعرّفه محجوب بأنّه:" الدّراسة وفق منهج معين لإغناء المعرفة الإنسانية؛ لخدمة المجتمع الإنساني فهو الإدراك والفهم اللّذان من خلالها يتم الحصول على المعرفة"[6]

- أمّا دَالِيْن فعرف البحث العلمي بأنّه:" محاولة دقيقة ومنظمة وناقدة للتوصل إلى حلول لمختلف المشكلات التي تقلق الإنسانية، بغية فهمها وحلها"[7]

ويُستنتج من ذلك أنّ البحث العلمي هو دراسة منظّمة ومتعمقة بغرض اكتشاف معلومات وحقائق جديدة، أو حلّ مشكلات ما والوصول إلى نتائج معلومة، والتعريفات الّتي تناولت الموضوع تتعدد بتعدد الباحثين الذين تناولوا مفهوم البحث العلمي، وتتباين بتباين واختلاف اختصاصاتهم وتوجهاتهم وحقول اهتماماتهم.

والبحث هنا هو: الجهد المبذول من قبل الباحث بذاته، أو بمساعدة الآخرين أو المشاركة معهم أو الإشراف عليه، ويشمل طلبة الدراسات الأولية(الجامعية) وطلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) والبحوث الشخصية الأكاديمية.[8]

ومن المتفق عليه أنّ البحث العلمي مهما كان انتماؤه، يمرّ بمراحل وخطوات متسلسلة يمكن حصرها فيما يلي[9]:

1- تحديد المشكلة أو عنوان الموضوع والبحث.

2- تحديد وجمع المصادر المطلوبة والتي لها علاقة بالبحث.

3- تحديد طريقة البحث ووضع الخطة اللازمة.

4- البدء بالقرارات والتحضيرات الكافية للبحث.

5- كتابة البحث وإخراجه بشكله النهائي وفق المقاييس والأسس.

2- صعوبات البحث العلمي فيّ الطّور الثالث دكتوراه (ل م د) بمجال اللّغة والأدب العربيّ:

تختلف البحوث في اختلاف الحقول(العلمية والاجتماعية، والفنية، والأدبية) كما تختلف في قيمتها العلمية، أمّا البحث العلمي الذي نحن بصدد الحديث عنه هو" بحث الدكتوراه"، حيث يخصص لطالب الدكتوراه عادة في هذه المرحلة وقت كاف يزيد أحيانا على السنة بكتابة بحث مفصل ومتخصص بطبيعة دراسته، وغالبا ما يتطلب أن يكون هذا البحث أصيلا وأن يضيف مادة جديدة للمعارف البشرية، ويشرف(أستاذ متخصص) على هذا النوع من البحث، ويخصص وقتا كافيا لمراجعته مع الطالب في مراحله المختلفة... ويسمى بالعربية أطروحة دكتوراه[10]. لكن الباحث خلال هذه العملية يصادف العديد من المشاكل والعقبات التي تعترضه وتحول دون

إنجازه لبحثه، وقد واجهنا بعضها سابقا في مراحل تعليمنا من الدّراسات العليا ولا زلنا نواجهها الآن ونحن بصدد إعداد أطروحتنا بتخصص الأدب العالمي، حيث يمكن تصنيفها إلى صعوبات منهجية متعلقة بالباحث نفسه وصعوبات إدارية وأخرى مادية نذكر منها:

1- صعوبة اختيار موضوع البحث: فاختيار موضوع البحث مشكلة المشكلات كما قال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، فأولى مشكلات الموضوع واختياره هي من يختار؟ أهو الباحث أم المشرف على أمور البحث؟[11] أم هي الإدارة الوصية على المشروع وبحثه؟ هنا قد يواجه الطالب صعوبة في حال ما فرض عليه موضوع البحث مما يعيق أو يقتل تلك الرغبة والدافعية لديه في البحث.

2- صعوبة إجراء البحوث عن بعض الموضوعات المرغوب بحثها: ذلك راجع إما لقلة توفر البيانات وضعف قاعدة المعلومات، أو لعدم توفر المصادر والمراجع الأولية والثانوية حول المشكلة أو القضية التي تشكل موضوع البحث الخاص بالباحث، مما يستغرق منه وقتا وجهدا طويلا جدا للبحث عن مصادر أخرى لبناء إطاره النظري وقاعدة البيانات الخاصة به حول المشكلة.

3- العبء التدريسي وعدم توفر الوقت الكافي: من خلال التكليف البيداغوجي المفروض على الطالب الباحث في الطور الثالث دكتوراه(ل م د) خاصة إذا كان في غير تخصصه، فينجم عن ذلك قلة فرص التفرغ العلمي للانشغال بأنشطة التدريس.

4- عدم كفاية وملائمة مكتبات الجامعات: لقلة الاهتمام بتحديث مصادر المعلومات لديها وإهمال في تطوير وتأهيل الكوادر المسؤولة عنها، وكذلك لانعدم انتظام وانسيابية حصول الباحث على الكتب والمراجع من المكتبات الجامعية.

5- المشكلات الأكاديمية والإدارية التي تواجه الباحث في عدد من الجامعات: بتفشي البيروقراطية الإدارية كتلك التي يصادفها الباحث بخصوص نشر مقاله العلمي، أو التدخل الغير المبرر من قبل بعض القادة الإداريين في الباحث وبحثه العلمي.

6- عدم توفر الإمكانيات المادية اللاّزمة لدى الطالب الباحث: مثلا من أجل اقتناء الكتب والمراجع والدوريات العلمية المساهمة في انجاز بحثه العلمي خاصة منها المتوفرة خارج القطر الوطني، مع العلم أنّ الباحث في الطور الثالث دكتوراه(ل م د) ملزم بالتفرغ للبحث والدّراسة والتكليف البيداغوجي فقط، فهو مطالب بالتنازل عن الوظيفة إن كان عاملا.

7- عدم تقدير مستوى الطالب الباحث: وتصنيفه بغير الكفء دون دراية وتأكد من مستواه الحقيقي من قبل بعض الأساتذة والإدارة المسؤولة، مما قد يسبب له إحباطا في مواصلة بحثه.

8- قلة قنوات الاتصال بين الطلبة الباحثين والمختصين من الأساتذة: فبالرغم من التقدم في عملية الاتصال وتقنية المعلومات التي أوجدت مساهمات كثيرة في توظيف المعرفة ما بين الجامعات في العالم إلا أنّ هناك ضعف في عملية الاتصال سواء ضمن الجامعة الواحدة أو ضمن الجامعات الأخرى، أو ما بين مراكزنا البحثية في الجامعة والمراكز في الجامعات العربية والعالمية.

9- وجود حالة من الانغلاق الفكري لدى الطالب: إما لعدم وجود خلفية كافية أو نقص هائل عن الموضوع الذي يريد البحث عنه، وإما لافتقار الطالب الطرق والأساليب الصحيحة التي تساعده في تجميع المعلومات وتحليلها فينظر إلى البحث نظرة مبهمة فيها نوع من الغموض، بحيث لا يعلم من أين يبدأ، وقد يأتي ذلك نتيجة تعدد المعرفة الواحدة وتضاربها أو نتيجة المشرف على الطالب، بعدم توضيح معلومات كافية يستطيع الطالبة من خلالها اتخاذ القرارات وتصميم بحثه العلمي.

10- يصادف الباحث صعوبات تقنية ومنهجية جمة في تأسيسه لمحتوى البحث أهمها[12]:

- الصّياغة اللّغوية: كثيرا ما تتوفر المادة، إلا أنّ قراءتها ومحاولة استخلاص أفكارها وتحليلها لأجل صياغة ما يتطلبه البحث بلغة سليمة من بين الصعوبات التي تصادف الباحث.
- التهميش وتنوع تقنياته: يعاني طلبة ما بعد التدرج في الطّور الثالث دكتوراه(ل م د) في اللّغة العربيّة وآدابها من إشكالية التهميش وهذا عائد إلى عدة أسباب أهمها:
  - تعدد الموارد المنهجية العلمية المرتبطة بهذا الجزء التقني من منهجية البحث.
  - عدم إتقان الباحث لمنهجية معينة، يعتمد تقنيتها.
  - قلة اهتمام الباحث بالعملية التهميشية مما يصعب عليه الأمور فيها.
- رؤوس الأقلام والجذاذات: تأتي إشكالية الأخذ العشوائي لرؤوس الأقلام من جهة، وعدم التعامل التقني السليم مع الجذاذات ذات الصعوبة في العودة إليها أولا، وفي حسن توظيفها ثانيا غي العمل العلمي وبالتالي عمد الإستفادة منها.

- قلة التمكن من اللّغات الأجنبية، وحسن ترجمتها: يعاني الباحث في العلوم اللغوية وكذا في الآداب إشكالية الوافد، خاصة في الوقت الراهن لذلك يجد الباحث العربي ذو اللغة الوحيدة نفسه في مأزق من التمكن من عملية ترجمة اللغة الأولى إلى اللغة الهدف" لغة البحث" ترجمة سليمة.
- عدم التفريق بين المناهج العلمية: الواجب اتباعها في البحث العلمي ذي الارتباط بالعلوم اللّغوية والأدبية خاصة مما يصعب من مهمة إنجاز البحث من قبل الطالب الباحث.

كما نجده يطرح أسئلة منهجية كثيرة في البدايات الأولى لعمله أهمها:

- مالمنهجية؟ ماضرورتها في بناء وتأسيس البحث العلمي؟ مادور المنهجية في طرح الإشكال وتأسيسه؟
- كيف أقسم البحث؟ كيف أهمش له؟
- ماهو الخط المناسب للكتابة؟
- ماهي الكيفية التي أضع بها الغلاف؟... إلى غير ذلك من الأسئلة التي تصاحب الباحث في بداية طرحه للبحث.

هذا إذا عن بعض الصعوبات التي من الممكن أن يصادفها الباحث عامة والباحث في تخصصات اللغة العربية وآدابها بالطور الثالث دكتوراه(ل م د) خاصة، لإنجاز أطروحته، فما الحلول التي يمكن اقتراحها لمساعدته في تخطي هذه الصعوبات؟

4- الحلول المقترحة لمواجهة هذه الصعوبات:

1- بالنسبة لصعوبة اختيار الموضوع: فعلى الباحث الذي يريد اختيار موضوع البحث أن يكتب عددا من الموضوعات التي يروق له الكتابة فيها، ثم يعرضها على أستاذه ليتشاور معه في الرأي، وليستمع إلى تجاربه الطويلة وآرائه الناضجة، ويمكن أن يتولى الأستاذ اختيار الموضوع للطالب، لأن الأستاذ أقدر على فهم عقل الطالب وما يناسبه في البحث[13]، شرط أن لا يجبر الطالب لباحث على موضوع لا يرغب بالبحث فيه.

2- على الباحث أن يلتزم باختيار موضوع تتوافر فيه المصادر والمراجع: حتى يتمكن من خلالها الحصول على المعلومات المطلوبة.

3- تخفيض نصاب الطلاب الباحثين من التدريس: لاسيما أولئك المسجلين في هذا الطور ويعملون على إعداد أطروحتهم، لأن ذلك من شأنه أن يسهم في قيامهم ببحوثهم بانتظام، أو جعل مدة البحث أطول من المدة المخصصة لهم حتى يتمكنوا من انجازه قبل انقضائها.

4- العمل على تجديد محتويات المكتبات الجامعية: من حين لأخر بالمصادر والمراجع الحديثة مع ضرورة توفيرها في أكثر من نسخة.

5- ضرورة التعاون من أجل محاربة البيروقراطية الإدارية بكافة أشكالها: ذلك بضرورة التعاون وتكاثف الجهود في تفعيل واصلاح إدارات الجامعات والكليات.

6- ضرورة تنشيط حركة تأليف الكتب الدراسية وترجمتها: من خلال خطة مرحلية تعد بناء على أولويات واحتياجات الأقسام الأكاديمية[14]، ليستفيد منها الباحث وتوفر عليه تكاليف الحصول عليها من خارج الوطن.

7- تقديم حوافز وتشجيعات معنوية للطالب الباحث: مع تجنب الحكم المتسرع والغير مبرر على مستواه ومنحه فرصا من أجل إثبات مستواه الحقيقي وأهمية ما يقوم به.

8- توفير قاعدة بيانات وتسهيل الحصول على المعطيات المطلوبة: من خلال تنسيق الكليات والجامعات ووزارة التعليم العالي مع بقية الكليات والجامعات الأخرى داخل أو خارج الوطن.

9- حسن القراءة وضرورة مراعاة الباحث للمفاهيم المحتوية: لأن المحتوى هو ضرورة مادية ملموسة قبل أن يكون ضرورة منهجية، فعلى الباحث التدقيق فيها، وحسن توظيف واستعمال رؤوس الأقلام والجذاذات.

10- ضرورة تمكن الباحث من العملية المنهجية العلمية السليمة: كالتهميشات والتذييلات وعدم إهمالها لأنها جزء أساس من إنجاح العمل العلمي[15].

11- ضرورة تكمن الباحث من العملية الترجمية: لأنها ضرورة عصرية في الوقت الراهن[16].

كانت هذه مجمل صعوبات وهموم الباحث في الطّور الثالث دكتوراه(ل م د) بميدان اللّغة العربيّة وآدابها حاولت قدر الإمكان رصدها واقتراح حلول ملائمة لها، وفي الأخير يمكننا القول بأنه، لا يخف على ذي بصيرة مكانة البحث العلمي وأهميته في تقدم البلدان وتطور الأمم ورقيها، حيث أنه يعدّ وسيلة مهمة لتطوير المعرفة، وهو لا يقوم ولا يتقدم من غير أن تتوافر له الحرية والدّعم المادي والمرافق البحثية والحوافز المعنوية، كما يحتاج في مؤسسات التعليم العالي إلى إستراتيجية علمية واضحة المعالم وإلى إدارة داعمة تؤمن بأهمية البحث العلمي في تقدم وتطور الدول والمجتمعات، وقبل ذلك فهو يحتاج إلى باحثين جامعيين مؤهلين أكاديميا ومنهجيا ومعرفيا في ميادينهم قادرين على تقصي كل ما هو جديد وطرح الأسئلة وتلقي الأجوبة والحلول التي تحقق النتائج المفيدة.

الهوامش:

1- ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1955، مادة" بحث".

2- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط2، القاهرة، مصر، (د، ت)، ص 33.

3- سلاطنية بلقاسم، حسان الجيلاني، محاضرات في المنهج والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، بن عكنون الجزائر، 2009، ص 73.

4- عزت محمود فارس، خالد أحمد الصرايرة، البحث العلمي وفنية الكتابة العلمية، زمزم ناشرون وموزعون، ط1، عمان، الأردن، 2011، ص 7.

5- أحمد عبد الله الصباب، أساليب ومناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار البلاد للطباعة والنشر، ط2، جدة، السعودية، 1992، ص 28.

6- وجيه محجوب، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2001، ص 31.

7- ديوبولد فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، تر: محمد نبيل نزفل وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، (د، ط)، مصر، 1984، ص 17.

8- عبد الرحمن حسين العزاوي، أصول البحث العلمي، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص 9.

9- أحمد حافظ وآخرين، دليل الباحث، دار المريخ، (د، ط)، السعودية، 1988، ص 28.

10- عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص 28.

11- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، البحوث الأدبية مناهجها ومصادرها، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1987، ص 22- 23.

12- ينظر: فتيحة حداد، الإشكالات المنهجية في البحث العلمي الأكاديمي، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، كلية الآداب واللغاتّ، اليوم الدراسي حول المناهج" قضايا المنهج في اللغة"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011/05/10. ص 40- 42.

13- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص 23.

14- مصطفى نمر دعمس، منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2015، ص 112.

15- ينظر: فتيحة حداد، مرجع سابق، ص 42- 43.

16- فتيحة حداد، المرجع نفسه، ص 43.